

## نصوص مختارة للخوري بطرس التولاوي<sup>١</sup>

(وفقاً للتسلسل الزمني)

النص الأول: الكتاب الثاني من الفلسفة، كتاب المنطق (١٦٩٣)، مخطوط البطريركية المارونية في بكركي، رقم: ١٦٣،  
الناسخ: الشّمس أغوسطين بن يوسف ابن الهنديّ الحلبيّ الماروني<sup>٢</sup>، تاريخ النسخ: أيار سنة ١٧١٩.

البحث الثاني: في بيان ماهية المنطق وفيه خمسة فصول

### الفصل الأول: في العلم النظريّ والعملّي

العلم النظريّ هو حصول معرفة الحقّ في الذهن، واستقراره فيه لذاته. والعملّيّ هو الحصول المُتَّزِن بإمالته للفعل، لأنّ غاية الفكر النظريّ الحقّ، والعملّيّ العمل. فلاح من ذلك أنّ العلم العملّيّ، بما أنّه ممتاز عن النظريّ، ينظر حُسْنَ الموضوع ويمنح إليه. والمُتَّخَص، من ذلك، صدق نتيجتين: الأولى أنّ للعملّيّ أن يعرف خيرَ موضوعه ليتمّه بالعمل على موجب حصوله في الفكر. الدليل: لأنّ العملّيّ غايته فعل الشيء، ولا يُقاد أحد لفعل شيء ما لم يعرف حُسَنه وخيره، فللعملّيّ أن يعرف حُسَنه وخيره. دليل آخر: كون لا يستصوب أحد عملاً إن لم يره مناسباً ومفيداً، وإظهاره بهذه الصفات هو كشفه حَسَنًا وخيرًا مُستطاعًا، فللعملّيّ أن يُظهر موضوعه حَسَنًا. الثانية أنّ العلم العملّيّ، من حيث إنّه عمليّ، لا ينظر إلى شيء ممتنع. الدليل: لا شيء من الخير المُستطاع ممتنع، وللعملّيّ أن ينظر إلى ما كان خيرًا مُستطاعًا، فليس للعملّيّ أن ينظر إلى ما كان ممتنعًا، لأنّ الممتنع هو ما يُتَّجز عمله على كلّ الوجوه والأسباب. فكُنْ على يقينٍ مِنَ العلم أنّ العلم، متى حصل على معرفة موضوع واستقرّ بحقيقته قانعًا، ولم يلتبس غير ذلك، هو نظريّ حقًا. والذي لا يقف عند حصول الحقيقة، بل يطلب إتمامه ويميل إليه هو عمليّ. واعلم أنّ إمالته على ضربين: ظاهرة ومُضْمَنَة. الظاهرة متى يُقال إفعال أو لا تفعل كذا. والمُضْمَنَة هي الكائنة في ضمن الحقايق الموردة، نحو قولك: إنّ الشرّ مضرّاته لا تُحصى، والفضيلة منافعها لعظيمة جدًا. المفهوم من هذا المورد الحثّ للسامع أن يمارس هذه ويجتنب ذاك.

١. وردت النصوص، في المخطوطات، خالية من علامات الوقف في معظمها، وكذلك الأمر فيما يتعلّق بالحركات، فضلًا عن الهمز والإدغام. وقد عمدنا إلى إثباتها بغية ضبط المعاني، وتسهيلًا لقراءتها. كما تشوب النصوص أخطاء لغوية وإملائية عديدة أثبتناها كما وردت، ووضعنا ما اعتبرناه صحيحًا بين معكوفين.

٢. ترد، على الصفحة الأخيرة من المخطوط، الملاحظة التالية: "اعلم أن كاتب هذا الكتاب هو الذي كان يُعَرَّب تأليفات التولاوي، وهو تلميذ المطران جرمانوس فرحات. صحّ صحّ". وإشارة الناسخ هذه تدلّ على أنّ التولاوي كان يضع مؤلفاته بالكرشوتية، ثمّ يتمّ "تعريبها"، أي تُعاد كتابتها بالعربية لاحقًا.

###

النصّ الثاني: الكتاب الرابع من الفلسفة، في علم (العلم) الإلهي أي الوجود المُطلق (١٧٠٣)، مخطوط دير الكرّيم - غوسطا - لجمعيّة المُرسّلين اللبنانيين الموارنة، رقم ١٣٠، اسم الناسخ وتاريخ النسخ غير مذكورين<sup>٣</sup>.

#### مقدّمة

وبعد، فلا يخفى عليك، أيّها القارئ النجيب، أنّ علم [العلم] الإلهي هو أشرف قسم من أقسام الفلسفة وأجلّها، كون كافّة العلوم مرتّبة ما دونه. وقد أبانه الفيلسوف [أرسطو] بأربعة عشر كتابًا قد صنّفها في ماهيّة هذا الفنّ. ويُعرّف بثلاثة من الأسماء، لأنّه يُدعى علم ما بعد الطبيعة لبحثه عن الوجود الأعمّ المجرّد عن جميع الطبايع المحسوسة. ويُسمّى الفلسفة أو الحكمة الأولى لشرحه في الموجودات المبرّأة [المبرّأة] عن كلّ حركة، وهي الذوات الأشرف والعلل الأولى التي مباحث جميع الكائنات تُضاف إلى معرفتها. ويُدعى علمًا إلهيًا طبيعيًا لفحصه عن الجواهر الروحيّة لينتهي بذلك، على مقدار ما يبلغ إليه نور عقلنا الطبيعيّ، إلى العلم بالله عزّ وجلّ، وهو البداية والنهاية في الكون والوجود. وقولنا طبيعيًا ليمتاز عن العلم اللاهوتيّ الذي يبحث عن الله تعالى من حيث هو معلوم بنور الإيمان الفائق الذي أنزله، بجزيل رأفته، على أنبيائه ورسله وأوليائه المُتّخِبين. وقد يُجرى [يُجرى] هذا العلم إلى قسمين. الأوّل ينظر إلى الموجود الأعمّ ولواحقه. والثاني إلى الجوهر الروحيّ بما أنّه يمثّل الأرواح المجرّدة، أي الملكة [الملائكة] والله تعالى غاية الجميع. ونحن نشعر بإيضاحهما بتوفيق الباري سبحانه ربّ العالمين.

###

النصّ الثالث: تأملات روحانيّة في السيرة الرهبانيّة (١٧٢١)، مخطوط الرهبانيّة المارونيّة المريميّة، مجموعة دير سيّدة اللوزة، رقم SPO55\MC، الناسخ: الأخ نعمة الله الشباي، تاريخ النسخ: ١٨٧٣.

#### مقدّمة: في طريقة الصلوة [الصلاة] العقليّة

أولًا: انتصب ما بين يدي الله واعتقد أنّك أمامه وهو ينظر إليك. ثانيًا: اطلب معونته وشفاعة مريم أمّه وقديسيه. ثالثًا: إن أردت أن تتملّ [تتأمل] أمورًا محسوسة كالأسرار السيديّة [نسبة إلى السيّد المسيح] والعواقب الأربعة [الأربع]، يجب عليك أن تشخص [تشخص] ذلك المكان الذي تمّ فيه السرّ. وإن أردت أن تتأمل [تتأمل] شيئًا [شيئًا] غير محسوس كالفضائل والردال [والردايل] يجب

٣. يرد، في صفحة عنوان المخطوط، واسم المؤلّف، ومكان التّأليف وتاريخه، العبارة التالية: "وُفّ برسم الرهبان الحلبيين الفاطنين يومئذٍ (يومئذٍ) دير ماري بطرس من مدينة حلب".  
والعبارة ذاتها ترد، مكرّرة، على صفحة أخيرة خاصّة من صفحات المخطوط.

عليك أن تعتقد بالفضائل أنّها شي [شيء] ثمين شريف، وتوقن بالذليل أنّها حالة سميحة كريهة وراء عسر شقاوة. رابعاً: أشغلُ فكريك في الشيء [الشيء] الذي أنت تأمله [تأمله]، فإن كان ما قصده أمرًا محسوسًا يجب عليك أن تتأمل [تأمل] من هو ذاك الشخص، وكيف فعله، وأين مكانه، ومتى زمانه، ولماذا قصده، ومن هو الذي أعانه. وإن كان ما قصده أمرًا غير محسوس فافهم حقيقته وفويده [وفويده] أو مضراته، وما هي الوسائط التي توصلك إليه وتبعك عنه. خامسًا: حرّك قلبك نحو حبّ الله وبغض الخطيئة، والشوق نحو الحياة الأبدية، وخوف جهنّم، وفرح الضمير، والحزن [والحزن] على العوايد الرديّة، والاتكال على الله، واخضع إرادتك لإرادته تعالى، واسجد لجلالته، واحجل في ذاتك، وانسحق على سو [سوء] سيرتك، واشكر الله على وعده بإصلاح سيرتك، وما شاكل ذلك. سادسًا: اتّخذ لك مقاصد صالحة لا عامّة فقط، كاعتمادك على اقتنا [اقتناء] فضيلة أم ترك رذيلة. بل اتّخذ لك قصداً خاصاً مُعيّناً ليرغبك في وظيفتك، ولا تتخذ من كلّ تأمل [تأمل] سوى قصدين أم ثلاثة فقط، وابقن أنّ هذا كلّّه هو ثمرة التأمل [التأمل]. سابعاً: اشكر الله الذي سهّل لك طريق التأمل [التأمل]، وألهمك إلى ما قصده منه، واستشفع مريم البتول والقديسين ليباركوا الله معك. ثامناً: اعرض مقاصدك على الله، واطلب بركته ومعونته لكي تتممها، واستشفع والدته مع ملائكة الحارس والقديسين شفعاك [شفعاك]، والتج [والتج] إلى الله باستحقاقات ابنه الحبيب لتعطى ما تبغيه، وتذكر عظم ضعفك وافتقارك إلى تأييده العظيم، آمين.

### تأمل اليوم الأوّل: في ذكر العواقب الأربع

قال ابن سيراخ في الإصحاح السابع: تذكر عواقبك الأربع في جميع أعمالك فلن تحطى أبداً. تأمل [تأمل] ما أعظم موهبة من يعيش على وجه الأرض بغير خطيئة مميّة. فالقديسون قد أتعبوا السما [ء] بالتماسهم هذه العطية. النساك قد زهدوا [زهّدوا] عن العالم كلّه ومقتوا خيراتهم بأسرها، واستوطنوا القفار بعيشة متقشفة جداً ليحظوا بهذه الموهبة مع أنّها حاصلة في يدك، متى شئت [شئت] امتلكتها، ولن تفتقر في ذلك إلى تعذيب جسديك، بل يكفيك حفظ نصيحة الحكيم، وهي أنّك تتذكر عواقبك في جميع أعمالك، فإنّه أوعدك بذلك أنّك لن تحطى أبداً، ولو عشيت ميات [مئات] وريوات من السنين، بل إلى الأبد، فأنت مستطيع أن تخلو من الخطيئة المميّة. انظر ما أعظم جهلك بإنسان [يا إنسان] لأنّ الحكيم [لم] يشرط عليك أن تصفح [تصفح] عواقبك دائماً لكون هذه لا تتسهّل لك كلّ وقة [وقت]، بل إنّه اشترط عليك أن تتذكرها في جميع أعمالك حيناً فحيناً. اعلم أنّ الموت هو أوّل العواقب الأربع، إلّا أنّ ذلك لا يوجد كافياً، بدليل أنّ البعض لما تذكروا الموت فقط تورطوا في الشهوات كقول سليمان<sup>٤</sup> فحير [فحير] عن أوليك [أولئك] الذين لما تصوّروا الموت زعموا قايين [قايين]: إنّ عمرنا يذول [يزول] ذوال [زوال] أثر الغمام ويضمحل كالضباب. ترى، أي نتيجة استنتجوها من هذا؟ هو قولهم: تعالوا إذاً نتمتع بالخيرات الموجودة، ونستعمل الملذات في الخليقة ما دام زمان الشبويّة. وما ذاك إلّا لظنهم بأنّ نفوسهم تذول [تذول] بذوال [بذوال] الجسم. حسبما يقولون أيضاً إنّ الجسم يصير رماداً، والروح تنسكب مع

٤. حكمة ٢. حاشية أصلية واردة في أعلى الصفحة.

الهوى<sup>٥</sup>. فهذا السبب لا ينصحك الحكيم بأن تتذكّر عاقباتك فقط، بل قال تذكّر عواقبك لتعلم من هذه أنّ الموت يتبعه الحساب، كقول بولص [بولس] الرسول<sup>٦</sup> إنه فُرض على جميع الناس أن يموتوا مرّة، وبعد ذلك الحكم. ولا يكفيك أن تتأمل الحساب فقط، بل يلزمك أن تتأمل في ذلك الحكم الملازم الحساب، وهو إمّا هلاك أبديّ وإمّا راحة أبدية، كقول مخلصنا<sup>٧</sup>: فيذهب هولاء [هؤلاء] إلى عذاب أبديّ، وأمّا الأبرار فإلى حياة أبدية. فتصنّفك إذاً العواقب كلّها هو علاج مفيد ليصونك من الخطيئة. فلهذا قال تذكّر عواقبك. اعلم أنّ الحكيم لم يقل تذكّر العواقب، بل قال: تذكّر عواقبك، فكأنّه يخاطبك قايلاً: إن شئت [شئت] أن تُصان من كلّ خطيئة، يجب عليك أن تعتقد بأنك، بعد زمان يسير، تبتسّط على فراش، وتحمّل من فوق نحش [نعش]، وتُدفع في حفرة، وتُساق نفسك إلى مواجهة الديان. فإن قاومت نفسك التجارب تحظى بدينونة راجحة، وسعادة مويّدة [مويّدة]، وإلا فُتسلم لعقوبات غير متناهية. فاعتقد حينئذٍ [حينئذ] مُصدّقاً أنّ هذه القضية تتمّ بك، فلا تنسبها لغيرك. ولا يَكُنْ تاملك [تأملك] نظرياً بل عملياً، حسبما يقول: تذكّر عواقبك في جميع أعمالك. فما الفائدة إن تصوّرت العواقب بأدلة وقياسات وتشابيه عقليّة سامية، وأنت داخل حيطان من ذلك [من ذلك]؟ بل يجب عليك أن تتشخصها عند ورود التجارب، وفي حال أعمالك وسيرتك اليوميّة، فيصدق بك حينئذٍ [حينئذ] القول كلّهُ: تذكّر عواقبك في جميع أعمالك، فلن تحظى أبداً.

٥. هكذا وردت كتابة اللفظة في المخطوط. ولعلّ الكتابة الإملائية الصحيحة للفظّة التبتست على الناسخ، ولم يتمكّن من القطع بشأنها (الهوى أو الهوى)، فأثبتها على هذا النحو؛ أو لعلّه

أراد بما معني: الهوى، والهوى أي الميل في النفس معاً. فالروح، في زعم هذه الفعّة، تتلاشى في الهواء، أو هي تنحلّ بالخلال ميول النفس وأهوائها بالموت.

٦. عبراتين (كذا)، ٩ / ع ٢٧. حاشية أصلية واردة في هامش النصّ.

٧. متى / ٢٥. حاشية أصلية واردة في هامش النصّ.